

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على جميع الأنبياء والمرسلين لاسيما محمد وآله الطيبين الطاهرين بمناسبة وفاة سيد الخلق رسول الله صلى الله عليه وآله، أحاول أن أتحدث^١ بما أرجو أن ينفعنا جميعا إن شاء الله، نطلق من أنفسنا، نحن نحب رسول الله (ص) بشكل عام، نصلي عليه نشهد بنبوته، كذلك نحن نتقرب إلى الله عز وجل، أنت مثلا تتقرب إلى الله لا فقط تصلي بل تسعى لأن تحصل على ثواب أكثر وتتقرب إلى الله أكثر فتحضر المسجد مثلا وتصلي جماعة، ولكن هنالك شيء نحن نفتقده، أنا لا أريد أن أبين لك ذلك الشيء، أساسا ليس قابلا للبيان، يحتاج إلى تهيؤ خاص، إنما أريد أن أذكرك به فقط، وأعتقد -أنت تحب رسول الله (ص) وتصلي عليه وتتقرب إلى الله- إذا انتبهت إلى ذلك الشيء وسعيت إليه فسوف تصبح من أتباع رسول الله (ص) وأنصاره، إن شاء الله أحاول أن أتحدث، اصغ لي، إن شاء الله أنا لا أضرك، فأنت حر، تعرف، تتعقل، فأنا أنبهك وأذكرك فقط وأعتقد بأنني إذا ذكرتك تتذكر ونفسك تعرفه

توفي رسول الله (ص) بعد حوالي ثلاث وعشرين سنة من بعثته، بقي ثلاث عشرة سنة في مكة وعشر سنوات في المدينة، في المدينة أنتج مجتمعا له خصائصه الواضحة، أنا فقط أشير إلى بعضها وأعتقد بأنك إذا انتبهت لهذه الخصائص كذلك تحبها، قبل ذلك، لأن تكون حركتنا حركة واقعية أكثر نطلق من واقعنا، أنت تشتهي وضعاً، على الأكثر الإنسان يشتهي نتائج العالم، المحللة بطبيعة الحال، فأنت تشتهي هذا الوضع وهذا العالم، لكن أنا أعتقد بأنك إذا انتبهت وراجعت نفسك، باعتبارك متدينا تتقرب إلى الله أن هذا العالم أنت لا تتبناه، والدليل على ذلك نفترض لو كان هذا العالم بيدك أنت -على الرغم من أنك أنت تشتهي- لكن أنت لا تفعله، لأنك لا ترتضي هذا العالم كدين، كحركة، كعقيدة، كهدف، أنا أتكلم مع هذه الحالة الموجودة في نفسك، مازلت تعرف الحق، هنالك ناس لا يعرفون الحق، القدرة على معرفة الحق افتقدوها (كَأَلَّا بَلْ رَانَ عَلَى قُلُوبِهِمْ مَا كَانُوا يَكْسِبُونَ)^٢، الإنسان -والعاذ بالله- يصل إلى مرحلة النفس تنغلق على أشياء معينة، بعد ذلك لا يستطيع أن يعرف أي شيء، أنا أتكلم مع نفسك

حينما بُعث رسول الله (ص) كان هنالك حضارة مدنية قائمة متجسدة في أنماط مختلفة من الحياة المشتهاة، (بُصرى) هذه المنطقة كانت عامرة، بعض الآثار التي يعرضونها بعض الأحيان في التلفزيونات تجد عمائر، قصور،

(١) تحدث السيد محمد علي الباقر (قدس سره) بهذا الحديث في يوم الجمعة الموافق ٢٨ صفر ١٤٢١، وقد تطوع بعض

الأشخاص بطباعته مع شيء من التصرف نتيجة تحويل الحديث من مسموع إلى مقروء وقد لا يخلو من أخطاء غير مقصودة

(٢) (المطففين: ١٤)

مسارح، ميادين، ملاعب مُبهرة وأمثال ذلك، معناه أنه هنالك تطورا هائلا كان موجودا في ذلك الحين، مسجد (آيا صوفيا)، هذا المسجد كان موجودا باسم الكنيسة في ذلك الحين، فهذا يعكس تطورا مدنيا هائلا، المدائن قبر سلمان هناك، آثار أيوان كسرى مازالت موجودة، هارون حاول أن يهدم هذه الآثار لم يستطع، هذه الآثار مُبهرة تدل على تطور هائل في الحضارة، الفن، الطب، كانت جنديشابور مدينة طبية في ذلك الحين، بعض الحالات حينما الإنسان يقرؤها في التاريخ يجد أنهم كانوا متطورين جدا في الطب، الأقمشة، البناء، الفن، الأطعمة وأنواع ذلك، هذه الأشياء كانت تصل إلى الجزيرة، مثل هؤلاء كانوا يسافرون من الجزيرة بشكل مستمر إلى بصرى، هذه المنطقة التي كانت تمثل تطورا حضاريا هائلا، فإذا كان هنالك عالم متحضر متمدن، فلسفات، أفكار، حضارة تطور عمراني هائل

في هذا الوقت بُعث رسول الله (ص) في منطقة حسب الظاهر متخلفة جدا، ربما أكثر المناطق تخلفا بلحاظ الحضارة، هناك عالم متحضر موجود، عالم متدين موجود كذلك، آسيا الوسطى بيزنطة كانت تحكمه امبراطورية نصرانية لكن متطورة جدا، وكذلك إيران في ذلك الحين كانت تدعي أنها هي تتبع زرادشت، فكانت متدينة، واليهودية كذلك كانت موجودة -الآن قارن هذه القضية بنفسك- أنت لو كنت في ذلك الحين، تلك القضايا والأحداث، تلك العمائر المبهرة، ذلك النمط من الحياة، تلك الأطعمة، الشوارع الفسيحة، الميادين وأشياء أخرى كثيرة، كل هذه القصص كانت تُنقل، طيب اسمه نضر بن كلده، تصدى لرسول الله (ص) أتى بكتاب يقص أساطير، أنت لو كنت في ذلك الحين كيف كان وضعك؟ كانت أمنيته أن تعيش مثلهم، شخص من كبار قريش ثري جدا، ذاق الفالودج، الفالودج من مكوناته الرئيسية الثلج فاستورد الثلج من الشام، وكذلك السكر، فصنع الفالودج حتى يظهر للناس النعمة التي كان العالم المتحضر آنذاك يتنعم بها، اجعل نفسك في هذا الوضع، نيتك كيف تكون؟

أيها العزيز أنت الموجود الوحيد -المعروف في هذا العالم- الذي تستطيع أن تنوي أكثر من واقعك، الحيوان لا يستطيع أن ينوي، الحيوان فقط يعيش في إطار واقعه، يعني مثلا الحروف حينما يُعطى له علف هذا لا يتصور علفا أفضل من هذا، فقط يتعامل مع العلف الموجود، أنت مجرب هذا، أنت الآن تمارس هذه الحالة، هذه النية، أنت تعيش عالما أوسع من واقعك بنيتك، أنت تعيش في بيت وتستطيع بنيتك أن تعيش في بيت مختلف عن هذا البيت، تأكل طعاما وبنيتك تأكل طعاما مختلفا عن هذا الطعام، الله ابتلاك، زدك بهذه النعمة وحملك المسؤولية أنك تستطيع أن تنوي شيئا غير موجود ولهذا تستطيع أن تغير، الحيوان لا يستطيع أن يغير وضعه، الإنسان يستطيع أن يغير وضعه

النية موجودة لكل إنسان، أي إنسان لا يرتضي وضعه يصنع لنفسه عالما آخر يرتضيه بنيته، بأمنيته، هناك ذلك الإنسان الجاهلي، تفكر أنت ماذا كان ينوي؟ حياته صعبة تقشف مفروض عليه، كان غاية ما ينويه هو أن يعيش مثل ذلك الشخص الذي مثلا رآه في (بصري)، أو نُقلت له حياته، كان يتمنى، وكان الذين لا يستطيعون أن يسافروا كانوا يتمنون يا ليتهم سافروا إلى بيزنطة، أو إلى المدائن حيث عاصمة الساسانيين، أو إلى مصر أو اليمن أو الحبشة أو إلى أماكن أخرى، ثم ينقلون أحداثا لغيرهم، هذه أمنيته، فالأمنية لها نطاق معين وفي مسار معين

النبي (ص) بُعث لأجل تغيير الناس في نطاق النيات، النبي لم يصنع معجزة لتغيير الناس، صنع معاجز لفتح الطريق، للتبصير، لكسر الأصنام، لكسر العقبات، أما تغيير الإنسان (إِنَّ اللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّى يُغَيِّرُوا مَا بِأَنْفُسِهِمْ)^١ هنالك ماذا حصل؟ ذلك الإنسان الخافي الذي كان يعيش تلك الأمنية تلك النية وأنت تدري أن الله يحاسب الإنسان بنيته، إذا أنت تختلف عن شخص آخر فكيف تُصبح أخاه؟ أما إذا نيتك كانت مثل نيته (عن جابر بن عبد الله الأنصاري حينما زار الإمام الحسين (ع) يُنقل في كربلاء بعد ذلك قال: أشهد لقد شاركناكم فيما دخلتم فيه -بعد ذلك حينما سأله عطية- قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم من أحب قوما حشر معهم، ومن أحب عمل قوم شاركهم في عملهم، أشهد أن نيتي ونية أصحابي على ما مضى عليه الحسين وأصحابه)

هذه هي هدي هو أن أعينك، أساعدك وأنبهك إلى أنك تستطيع أن تنوي الآن كما كان ينوي رسول الله (ص)، أنت بحاجة إلى معرفة سنة رسول الله (ص)، أنت تحب النبي (ص)، تحب التقرب إلى الله تعالى، لكن أنت بحاجة إلى معرفة سنة النبي، نتيجة سنة النبي كذلك أنت تحبها، أنا أقول لك جمّد شهوتك، نفسك تحن إلى الوضع الذي حصل، وُجد مجتمع في مقابل المجتمعات الأخرى، هذا المجتمع بلحاظ مُتّع الحياة لم يكن يتوفر فيه حتى أساسيات العيش، لكن أصبحوا أناسا كبارا بنياتهم، ذلك الشخص الجائع قبل ذلك، كان غاية ما يجد في نفسه أن يجد طعاما لذيذا وأن هذا الطعام يوميا يتنوع أكثر حتى هو يلتذ أكثر، لكن هذا الإنسان الجائع في عهد رسول الله (ص) نيته تغيرت، أمنيته تغيرت

(١) (الرعد: ١١)